يفوقها قدسية وطهارة عندهم سوى مكة والمدينة » وبين أن من « الغبن والاجحاف » بالاسلام وضع أحد « أقدس أقداسه » تحت السيطرة اليهودية .

ولكن لب الامر ولبابه انه لا بلفور ولا أي من مساعديه كان يجهل الحقائق وواقع الاشياء ، ان لم يكن عن اي طريق آخر ، فبفضل الوقائع الناصعة التي وضعها تحت أنظارهم اللورد كرزون ، سواء كان ذلك على الصعيد الديني او الصعيد القومي . ولكن بلفور آثر أن يضرب بالوقائع كلها عرض الحائط . وبمساندة رئيس الوزراء لويد جورج ومباركته سار بهذه السياسة الى النهاية الى أن أثيرت رسميا في مجلس الوزراء . ولم يؤخذ العرب بأي حسبان سوى اتخاذ الاحتياطات لاخراس ما قد يصدر عنهم من احتجاجات . ويتضح هذا من برقية أرسلت مع نص وعد بلفور في يوم صدوره الى الجنرال وينغيت المندوب السامي البريطاني في القاهرة حيث جاء فيها : « ينبغي عليك ان تراقب تعليقات الصحف مراقبة شديدة حتى لا تستثار الحساسيات العربية » . فلا عجب اذن ان اكتفت أوسع الصحف العربية انتشارا ، آنذاك ، وهي جريدة « المقطم » التي كانت تصدر في القاهرة والمعروفة بموالاتها لبريطانيا بمجرد نشر نص وعد بلفور على هيئة برقية صحفية وردت من مكتب وكالة رويتر في لندن بتاريخ ٩ تشرين الثاني .

[٥]

كان اصدار وعد بلفور ايذانا بانتهاء المرحلة الاولى من اقرار الظلم والاجحاف سياسة رسمية لبريطانيا . ولكي تضع بريطانيا هذه السياسة موضع التطبيق كان عليها انتظار انجاز عدد من المهمات منها : استكمال احتلال فلسطين ، والحاق الهزيمة بتركيا بصورة تامة ، ومراجعة بنود اتفاقية سايكس ــ بيكو واعادة النظر في بعضها ، واضفاء صفة الشرعية من ناحية القانون الدولي على موقف بريطانيا ، والتفاوض مع فرنسا للتنازل عن مطالبها في فلسطين ، وضمان تعيين بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين .

وقد تم انجاز هذه المهمات جميعا قبل حلول شهر تموز ١٩٢٠ عندما جرى تعيين السير هربرت صموئيل السياسي البريطاني الصهيوني مندوبا ساميا في القدس ، وقد أوكلت اليه ، بموجب انتداب من عصبة الامم ، مهمة تنفيذ سياسة انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين . ولا حاجة بنا الى القول انه قد جرى الاقدام على اتخاذ هذه الخطوات الخطيرة دون موافقة ، او حتى ، في بعض الحالات ، دون علم سكان فلسطين العرب . وقد أخذت بريطانيا علما بعدم رضى شريف مكة الذي كانت بريطانيا قد اعترفت به ملكا على الحجاز .

وقد ظن ، في أول الامر ، ان البيان الانكليزي ــ الفرنسي الصادر في ١٩١٨/١١/٨ هو بيان للسياسة البريطانية موجه له ، بيد ان انتهاء الحرب مع تركيا بسرعة ، وانتشار التململ وعدم الرضى على نطاق واسع بين السكان العرب في المناطق التي احتلها البريطانيون والقوات الحليفة لهم حولت هذا البيان الى نداء عام مشترك من الحكومتين الانكليزية والفرنسية . لقد استهدف هذا النداء العام المشترك تخفيف وقع اتفاقية سايكس ــ بيكو على العرب ، وتهدئة خواطر « القوى الديموقراطية » في معسكر الحلفاء ، وبصورة خاصة ، الانسجام قدر الامكان مع نقاط الرئيس الامريكي ويلسون الاربع عشرة . وقد سبق اعلان هذا البيان العام المشترك كثير من الاخذ والرد الدبلوماسي . فقد اقترحت فرنسا ان لا يقتصر تطبيق هذا النداء على سوريا والعراق فقط ، بل أن يكون تطبيقه عاما وشاملا . ولكن اللورد روبرت سيسيل ساعد بلفور الايمن في المسألة الصهيونية رفض الاقتراح الفرنسي لانه « سيكون من العسير التوفيق بينه وبين سياستنا المعلنة (كذا !) في فلسطين » . لقد أيقن الفرنسيون الان بما ارتابوا بشأنه طوال الوقت ، وهو أن بريطانيا كانت تريد الاستئثار بفلسطين متخذة من